ووزن مفعال يتحول احيانا فى الشام الى مفعـول فيقال منقور بدل منقار ومهموز بدل مهمـــاز بينما يحتفظ بصيغته فى المغرب فيقال منقار ومهماز ويقع التحول احيانا فى المغرب كـما فى منكوس ومسعور ومتعوس (من النجس والسعر والتعس) .

أما اذا دل وزن فعالة على اسم الآلة فان مفعال يحول فى اللهجة السورية واللبنانية الى فعاية: ممحاة ـ محاية (محاية بتسكين الميم وفتح الحاء فى المغرب) ومبراة براية فى حين يقلب فى العامية المغربية الى وزن آخر من اوزان المبالغة وهو فعال : ملقاط ـ لقاط علاوة على الصيغة المذكورة (فعاية) .

* * *

وهكذا يتضح ان التجانس بين اللهجتين أغلب وان مجالى الاختلاف تمس احدى اثنتين اما انسياق مـع مقتضيات التسهيل الموسومة باللون الاقليمى او تأثر بلهجة قبلية اصيلة كالتلتلة عند اهل بهراء وهى كسر ياء المضارعة او تحول التاء الى سين (نحو دعثه ودعسه اذا وطئه والحثالة والحسالة) او ابدال الدال زايـا (مثل توكد بأمر كذا وتوكز اى قام واستعد) وتعاقب انضاد والظاء كالبظر والبضر والظهر والضهر او وقوعها مكان الزاى (زغد ـ وخقد اى عصر حلقه) وهى لغة عربية اصيلة لا مجال فيها للتأثير التركى كما يظن صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية كما ان تعاقب الغين والجيم (الممجط والممغط أى المسترخى فى طول) ليست حتما من الآثار الآرامية بل هى من مظاهـــر التعاقب فى اللغة العربية .

ويتحد المغرب (I) وسوريا ولبنان فى كثير مـن الكلمات المشتركة بين العربية والعاميـــة نعطى منها الامثلة الآتية : برا (خارج البيت) حاف (الخبز حاف بتشديد الفاء او حاف اى بدون ادام) وحمص الحب قلاه ، وخبط (ضرب ضربا شديدا) وخطرة (مـرة) وراح (ذهب) وزعق (صاح) وسكر الباب (أغلقـــه) ومشبوح (ممدود الذراعين كالمصلوب) ومكان فاض (خال) وفرحان (فرح) وفقش البيض (فقس فى المغرب اى كسره بيده) وقد (قامة) وقرص العجين (قطعـه اقراصا) وقشط (سلب) وقعد يفعل كذا (أى اخـذ يفعل) وكش (طرد) ومغط (مد) وهبرة (قطعة لحم بلا عظم) وأهبل (احمق) وهرس (دقه دقا شديدا) وخربق العمل (خردق) .

وتختلف الصيغة احيانا نوعا ما كما فى : قحب وقـح بمعنى سعل (بدل كحب وكحكح فى المغرب) وجرر (جرجر) وتفل وتف (بصق)ومن غريب ما يلاحظ وحدة الاتجاه فى تغيير ترتيب الحروف مثل : أبله (ابهل) وزنجار (جنزار أو جنجار وهو صدأ النحاس) وسجادة (سداجة) ولعن (نعل) وملعقة (معلقة) ويئس (أيس) .

واغرب من ذلك ان الكلمات المشتركة بين العربية والعامية مع اختلاف المعنى (وقد ساق منهـا صاحب غرائب اللهجة اللبنانية السورية نحو 550 لفظة (2) يتحد كثير منها فى المدلول ومن ذلك : بدع (نسبه الى البدعة) وبرك (قعد عن مرض او ضعف) بشبش (تنسم الاخبار تقابلها فى المغرب شمشم المأخوذة من شم) والبطن (المولود) وبكره (غدا) وبيت (غرفـــة) وجفره (انتهره وعنفه) وحرامى (سارق وان كان اللفظ يحتفظ فىالمغرب غالبا بمعناه الاصيل) وتخشع (تأثر قلبه) ومخطوف لون الوجه شاحبه (كأنه مخطوف الدم) وخالص (متمم) ودرويش (فقير) ودور عليك (طلبك)

(I) اللغة العامية المغربيـــة لا تختلف عن اللغاتالعامية الاخرى فى البلاد العربية اذ لم يعقها عن الاتصال بالفصحى الا ما فيها احيانا من الحرفشة على حد تعبيرابن خلدون أو وقف وعدم اعراب (راجع كتاب العربية للاستاذ بوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ـ احمد امين ـ ظهر الاسلام ج 2 ص 20).

(2) ويرجع الاختلاف الجزئى الى تحريف العوام ، وقد كتب فى لحن العامة علماء امثال الكسائى ويحيى الفراء (المتوفى عـام 207 ه) وابن عبيـدة (209 ه)والسجستانـى (250 ه) واحمد بن يحيـى (291 ه) ومحمد بن الحسن الزبيدى الاندلسى (379 ه) وابىهلال العسكرى (495 ه) وابن الجوزى (597 ه) وابن هشام اللخمى السبتى (577 ه) صاحب شرح الفصيحلثعلب والمدخل الى «تقويم اللسان وتعليم البيان» فى لحن العامة وابن مكى الصقلى صاحب «تثقيف اللسانوتلقيح الجنان» (مخطوط باسطمبول) الذى حـــوى الفاظا عربية محرفة او دخيلة من البربرية او الاسبانيةمع مرادفها العربى والقزاز البربرى الذى صحت عليه اللغة العربية بالاندلس ومالك بن المرحل الذى نظمفصيح ثعلب وابن هانـىء اللخمى السبتى (733 ه) الذى رتب كتاب بلدية ابن هشام اللخمى .

ورشح الملح (ذره) وسبع (جريء) وتسلط عليه (تعدى) وساهى (نعسان) وشاطر (ماهر) وشكل (نوع) والصافى (الخلاصة) وطول (مكث مدة طويلة) وعبد (زنجى) وعسكرى (جندى) وعيا (مرض) وعيان (مريض) وعيال (زوجة) (والعيال الاطفال ايضا فى المغرب) وتغذى (اكل حول الظهر) وغزالة (امرأة جميلة) ومغلوب (عاجز عن القيام بأعباء عائلته او غيرها) وغول (مفرط الاكل) وطعام فاخر (لذيذ) وفرد بفتح الفاء وكسر الدال (مسدس) وفسد بين الناس (زرع الشقاق) والفشل (الحبوط) وفاضى (غير مشغول او خال) وفطن بالامر (تذكره) وفقسه (احزنه بعد فرحه) وفك اللغز (حله) وقاع البئر او الوادى (اسفله) والقابلية (شهوة الطعام) وقتله (ضربه) والقحط (قلة المواد الغذائية) وقرع الرأس (نزع لباسه او شعره) والقعود (او القعاد البطالة) وقعدة (او مقعدة ـ أست) والمقعد (البهو) وقفا الشيء (مؤخره) وتقلع (ذهب وفيها معنى التثاقل) وكلف الشيء كذا (كان ثمنه كذا) والكنية (اسم العائلة) وليس المعدن (طلاه بمعدن آخر) واللبن (اللبن الرائب فى الشام واللبن الحامض فى المغرب) وملعون (لعين وخبيث) ولقطه (اخذه بيده) وتمدد (انسطح على ظهره) ونبش (حفر) ونجس (او منجوس خبيث) ونصب عليه (خدعه) وناصح (سمين او جيد وخاصة فيما يتعلق بالسمنة واللون) ونفض (حشر كل ماله) ونقب الارض (حرثها وحفرها) والنقطة (قطرة او مرض الصرع) ونكاه (أغاظه) وهاوده (باع له بثمن معتدل) وهيكل (جسم انسان او حيوان) والواعى (من كان فى حالة اليقظة).

خصائص المعجم العلمي في اللهجتين

تمتاز اوزان الافعال او الاسماء خاصة فى اللهجة الشامية بصيغ استثنائية منها زيادة حرف اول الفعل أو وسطه مثل عكبر (المسألة أى عظمها) بدل كبر وحلمس (لمس لمسا خفيفا) بدل لمس وهى نادرة فى اللجهة المغربية (جنفخ بدل نفخ) وتتحد اللهجتان فى الفاظ كثيرة مثل (شقلب بمعنى قلب) وطنفخ (الجرح اى ورم) بدل نفخ (وان كان عامة المغرب يزيدون الجيم بدل الطاء فيقولون جنفخ) وفتح شرشح صوته اى غنى بصوت قوى من شرح (الا ان المغاربة يقولون صرصح بالصاد بدل صرح) وشرمط (من شرط اى قطع) وزحلقه اى جعله يزلق (من زحل اى ازاح) (I) .

واما فى خصوص الحذف فان العامية المغربية لا تحذف مثلا جزءا من حروف الجر الا ما كان كالالف والياء مثل فلبيت بدل فى البيت و لاتعرف ع الرف عوض على الرف .

وكثيرا ما تزاد الباء اول الفعل فى العامية المغربية مثل بحلس (اى حلس وتحلس بمعنى لزم مكانه فصار يتحرك ببطء) ، وبحلط (أى دقق النظر فى المغضوب عليه من حلط عليه اذا غضب) .

غير ان هنالك صيغا فى الافعال غير الرباعية احتفظت فيها العامية المغربية بالاصل الفصيح بينما زيدت حروف فى العامية الشامية مثل استناول (مقابل تناول فى المغرب) واستمادى (تمادى) واستمنى (تمنى) واستخبى (اختبا وفى الدارجة المغربية تخبا) واسترجى (ترجى) واسترقى (ترقى) واستلقى (تلقى فى حين أن استلقى فى المغرب تفيد كذلك معنى الانبطاح كالفصحى) .

اما فى الاسماء فهنالك اوزان اكثرها دخيل فى لسان اهل الشام مثل حصود (حاصد) وداحوس (داحس) وباكور (2) وفاعولة وفاعولى وفعول (هبول اى احمق) وفعولة وفعيل بتشديد العين وضم الفاء وفعيلة وفعيل (مثل مويت اى مشرف على الموت) وفعلنه (حمرنه اى قول او عمل حماقة كعمل الحمار) وولدنه (قول او عمل ولد صغير) .

وهذه الصيغ نادرة فى الدارجة المغربية وان كان بعضها يحتفظ بمعناه العربى او غيره (مثل غاسول وباكور او ناعورة وداغور أى بليد) ورابوز (اى كير)

(I) يرى الاب رفائيل ان فرتك من فرت السريانية بمعنى قطع ومزق والواقع انها عربية اقتبست منها حتى العامية المغربية التى لا صلة لها بالسريانية ، والمعنى واحد فى اللهجتين (فرتكه اى قطعه مثل الذر ـ متن اللغة) .

(2) يستعمل العامة فى المغرب هذه الصيغة فى باكور وحصول (بدل حاصل) الخ.

وفاسوخ (نبات يتبخر به).

ولا يستعمل وزن فاعولى بالمغرب فى مدلول التفضيل كما هو الحال بالشام (قاتولى ـ قتالى وباطولى ـ بطال) وانما للنسبة (مثل باكورى من باكور وناعورى من الناعورة) وتشتق النسبة فى المغرب من صيغة الكثرة (مثل حموقى : شديد الحمق او قفوحى اى اجنبى عن العربية او غير قح) .

واذا استثنينا اوزان التصغير المقتسبة من العربية فى اللهجتين (فعيل (1) وفعيلة وفعيـل) فاننا نجد صيغا مختصة باللغة العامية منها ما هو مشترك فى الدارجتين مثل فعول (بيوض اى قط أبيض وعزوز اى عزيز جدا وقدور لعبد القادر وفضول لفضل الله وعبود لعبد الله وخدوج لخديجة وعيوش لعائشة (2) وكروم (لعبد الكريم) وفعلول (بحبوح اى مبحوح) وقرعوش (الرباط) او أقرعوس فى البربرية بالمغرب) وفعفول (3) وفعفولة (4) وفعيلة بضم الفاء وتشديد العين المفتوحة (مثل حريقة فى المغرب) اى نبات يحرق بشوكه وحميضة نبت كثير الحموضة .

وتختص العامية الشامية بأوزان أخـرى للتصغير مثل فعلة (اى جبلة للجبل الصغير) وفعلون (طربون للغصين) وفعلونة وفعلوسة وكلهـا مقتبسة مـن السريانية وقد اقتبست اللهجة الاندلسية صيغة فعلون حفصون وزيدون من الاسبانية .

وقد عرفت الشامية كذلك الشين مثـل خربوش (بيت مخروب) فى حين ان خربوش فى اللهجة المغربية مشتق من خربش الوجه اى افسده فهو مخربش او خربوش .

والشائع فى لهجة حلب مثلا استعمال اوزان خاصة فى تصغير اسماء الاعلام مثل فعلو وفاعو وفيعو (زينو لزينب وسلمو لسليم وعبدو لعبد الله) الا ان بعض هذه الصيغ توجد ايضا فى العامية المغربية وخاصة فى المناطق البربرية (مثل حمو لاحمد ويطو لفاطمة وهنو لهنية ورحو لعبد الرحيم او الرحمن، وعبو لعبد الله علاوة على صيغ حضرية مثل طامو الخ) .

* * *

وتشترك اللهجتـان ايضـا فى كثيـر من النعوت كفعلان (تعبان وحفيان لحافى الرجل وخيفـان او خوفان للخائف وعجزان للعاجز وغلطـان للغالط) وفعلانى (حمرانى وبرانى وتحتانى وفوقانى ووحدانى ووسطانى) بينما تنفرد العامية فى سوريا ولبنـان باللواحق التركية مثـل جى (بستانجى وبوسطجى وتلغـرافجى (5) أولى (جزائرلى) او الفارسيـة مثـل خانه (حبسخانه اى سجن ورصد خانه اى مرصـد وميخانة اى حانة) (6).

---

(1) وزغير فى الشام ورقيوق وصغير او صغيور فى المغرب .

(2) بعض هذه الصيغ يفيـد فى المغرب التعظيم لا التصغير مثل كروش بمعنى بطن كبير لا بطن صغير كما فى الشام .

(3) يستعمل العامة فى المغرب بطبوط لعظيم البطن كما تستعمل الفاظا لا تراعى فيها ازدواجية فاء الكلمة مثل حتنوك بمعنى الرجل الحقير جدا وشنفوخ اوجنفوخ (للكثير الانتفاخ فى الوجه خاصة ويقال فى العامية الشامية ايضا شنفخ التين اذا انتفخ بعد بدءنضجه) .

(4) مثل طقطوقة الا ان اللفظ يفيد بالمغرب مبالغة فى الطقطقة وهى صوت الدفوف والطبول فى حين يعنى فى اللهجة السورية اللبنانية امرأة تحاول لفت نظر الرجال بطقطقتها فى المشى لاثارة الانتبـاه ، وتوجد كذلك لفظة كشكوشة التى معناها الرغـوة بالمغرب والناصية (أى شعر طويل فى مقدم الراس) فى الشام حيث اقتبست من الكشة وهى الناصية فى حين اقتبس المغرب اللفظ من الكش وهـو الصوت الخوار او غليان القدر وارتغاؤها فالمصدر فى الحالتين عربى وتفيد الكركوبة فى العامية المغربية حبة مدورة تتكركب اى تتدحرج .

(5) وهذه الصيغة نادرة جدا فى العامية المغربية والفاظها معدودة مثل قهوجى وطبجى وصابونجى وهى اسم عائلة فى سلا .

(6) يوجد لفظ ميخانه فى اللسان المغربى وهو اسم حى بعاصمة الرباط ولعل ذلك راجع لوجود حانة قديمة فى هذا الحى .

وتكثر فى اللهجتين :

1 ـ الصيغة السماعية فى أفعل التفضيل (مثل اكمل واحب وأزيد واغنى واخبث واعرف والذ واطيب واتذل) .

2 ـ الكنى (بودراع صاحب الذراع وبوكبوط صاحب الرداء) .

3 ـ النحت (مطيبو اى ما أطيبه وملدو اى ما الذه ومحلاه اى ما احلاه ومشرو اى ما أشد شره وايش أى أى شيء وبشويش اى على مهل وبعدين اى بعد آن وبلاش اى بلا شيء ورسمال اى راس مال وشقداى اى شيء قدر ذلك وشنو لاى شيء هو وعقبالك اى العقبى لك وعمنول او عملول اى العـام الاول وهو الفارط وفيسع اى فورا اصلها فى الساعة وفين اصلها فأين وقديش اى بقدر أى شيء وليس أى لاى شيء وماش اى ما هو شيئا وماشله اى ما شاء الله ومش كبير اى ما هو شيئا كبيرا ومشانك اى لاجلك اصلها من شأنك ومعليش اى لا باس بذلك اصلها ما عليه شيء ومنين اى من اين وناسملاح اى ناس ملاح وولا أى والا وويلي اى ويل لى ووين اصلها واين ويله اصلها يا الله اى الثت معى ويلي اى يا ايها الذى اصلهـــا يا الذى) .

4 ـ الاتباع: يقوم الاتباع القياسى فى سورياولبنان على تحويل اول حرف منالكلمة الاولى الى ميمفىالثانية اقتباسا من التركية مثل «لاكتاب عندى ولا متاب» اما الاتباع السماعىفهو منوع يتفق فى الكثير مـع المغرب (I) مثل حاضر ناضر (رجل يرى كل شيء) وحلاس ملاس (متملق مفرط المجاملة) (2) شهى بهى (جميل جدا) وكانى مانى (اى كان هذا وكان ذاك) (3).

وتتقارب اتباعات اخرى فى اللهجتين اما من حيث الشكل او المعنى مثل : حزمز (فى المغرب : تقول وصل فلان الى حزمز اى الى نقطة التحول الحاسمة) وحزبز (فى الشام ويفيد الذهاب والمجيء المتواصلين) وحربش بربش او (حربوش بربوش للتحدى فى المغرب وسوريا ولبنان) وخلط وبلط (بدل خلط جلط فى المغرب اى اختلاط عادم الترتيب) وشرى مرى (فى الشام بمعنى زيارات مفرطة التوارد مقابل خرى طرى فى المغرب لنفس المدلول) وشلع بلع فى الشام مقابل (شرح ملح) وكلاهما يفيد الكلام البذىء او الصريح جدا .

5 ـ حكاية الاصوات : التقارب فيها طبيعى مثل طن طن (صوت الجرس) وطق (الانفجار بضجة) وطراق طراق او طراق (صوت الضرب) وقرت المعدة (قرقرت فى المغرب اى صاتت الخ .

6 ـ وحدة التعبير فى مئات الكلمات وقد ساق الاب رفائيل تسعة وستين اسما يحتوى كلمة عين يتفق مدلول الكثير منها مع معنى اللفظ المغربى مثل :

ياعينى (ياعزيزى) ـ ما يملا العين (لا يشبع رغبات صاحبه) وعينو شبعانه (قنوع) وعينو مفتوحة (حاذق) وعلى الراس والعين ونزل من عينى (سقط) ووقعت العين على العين وعينى فيه وتفه عليه (عينى فيه ما قديت عليه فى المغرب وهى تقـــال لمن يشتهى شيئا ويتظاهر باحتقاره) وعين الشمس (قرصها) وعلى عينك ياتاجر (يقال فى المغرب : على عينك يابن عدى لمن يعمل جهارا عملا قبيحا) وذهب عين (ذهب خالص) والعين بصيرة واليد قصيرة .

* * *

وقد تأثر اللسان السورى واللبنانى منـذ صدر الاسلام بالارامية التى تعد السريانية اشهر واغنى لهجاتها والملاحظ ان المغرب الذى لا يوجد ما يؤكد تأثره بهذه اللهجات يتفق مع عرب الشام فى كثير من هذه المصطلحات الدخيلة مثال ذلك :

برا : فى الخارج (مقابلها السريانى Baro)

برم : أى ثقب بالبريمة وهى مثقب من حديـــد للخشب (bram)

بطن : بمعنى مولود (batno)

بطانية : بردة او جبة من صوف (bitouno)

بعج : ضغط شيئا لينا فجوفه (b'aq)

بعير: حيوان (حمار او جمل) متوحش خشن B'iro

(I) الاتباع القياسى فى المغرب مقتبس من اتباع الفصحى مثل : حيص بيص ـ الجوع والنوع ـ الكوع والبوع ـ اللتى والتيا ـ حس بس ـ الشخير والنخيرشحيح نحيح .

(2) يستعمل فى المغرب الفعل خاصة وهو حلس ملس .

(3) فى العامية المغربية : كينى مينى

بق : بعوض (Boqo)
بهر : سطع (Bkar)
تبهلل : تباله والبهل (الابله Bahlo)
بهموت : رجل داهية طماع (Bel moût)
بيناتنا : بيننا (Baynot)
تفو عليه : تعبير عن الاحتقار والاشمئـــزاز (أف Boûz) (وتففه في الفصحى قال له تفا او تف لك اى قذرا وبعدا)
جرجر : جر (Gargar)
الحد : يوم الاحد (Had)
حربق الامر : عقده (Habeg) (يقال خربـــق في المغرب)
حنتت : قتر وبالغ في البخل (Haté) ولعل منه حنتيت في العامية المغربية
خرشوم : انف (Hasoumo) (خيشوم في المغرب)
خلخله : هزه (Halhel)
دار : ساحة بيت غير مسقفة (Dorto)
درفة باب او نافذة : مصراعها (Dafo)، ويقال في المغرب دفه
الدغل : المكر والكذب (Dougolo)
دقدق الباب : قرعه مرارا (Daqdeq)
الدقن : اللحية (Dagno)
دند له : دلاه (dandel) ، (في المغرب دلدل)
روح اللحم : فسد (Rbah)
زفرة : نتن الرائحة
سطره : شقه نصفين بالساطور (Star)
ساوسه : لاطفه (Sawsi) ، (سيس معه في المغرب)
شح الماء : قل (Sah) ، يقال شحت في المغرب
شقفة : قطعة
شقلب : قلبه بدون ترتيب (Chaqleb)
شلهب الشخص : احترق من الحر او العطس او نحوهما (échtalheb)
الشاوى : القائم بتوزيع المياه على الاراضي المزروعة (اقليم الشاوية في المغرب حيث تتوافر الشياه والمياه)
طاش : هام على وجهه
ضهر : بدل ظهر (Tahro)
طعم : لقح (Taém)
طلس بالوحل او نحوه : وسخه (Tlach)
فرتكه : كسره وقطعه

فرقع : انفجر بضجة (Farga)
فركش : وضع امامه ما يعثر به (Farkes) يقال صبي فركوش في العامية المغربية اذا كان يتعثر في مشيه لصغره)
فشر : كذب (Fchar) (الفشار)
فشط: كذب وادعى ما ليس فيه (Fchat) (فشاط)
فكح : عرج قليلا (Bgah) (فركح في المغرب)
قاقى الدجاج : صوت (Qawqi)
قدى : كفى (يقدني ـ يكفيني) (Aqdé)
القرطة : قطعة كبيرة مستديرة من جـذع شجرة يسطر عليها اللحم مثلا (Kourtto)
كاش على الدنيا : اشتد حبه لها وبخل بها (Kachi
كاف : كهف (Kifo)
كرش : المعدة او البطن (Harso)
كش الذباب : طرده (Akech)
كلخ : غصن مقطوع (يطلق في المغرب خاصة على قشرة الغصن او الجذع المقطوع)
كوش : (تقال للكلب) ، اسكت او اهدأ (تقال حتى للذباب والدجاج ونحوهما في المغرب)
لبخه : ألصقه (Ibah)
لهط ولهف : خطف بسرعة وبشوق شديد
مرط الغصن : جرده عن ورقه (Mrat)
معس : داس ما فيه حياة (M'as)
مقله : مقلى او مقلاه (Maqlyo)

ويتجلى من مقارنة كثير من هذه الالفاظ بمرادفها في المعاجم انها دخلت اولا الى اللغة الفصحى ومنهـا تسربت الى اللهجتين بسوريا ولبنان وكذلك المغرب والا فيصعب تعليل وجودها في العامية المغربية التي لم تتاثر البتة باللهجة السريانية .

واذا اعتبرنا الاتصال الوثيق الذى تم بين اهـل الشام واهل المغرب في الاندلس خلال الحكم الاموى خاصة ثم في الفترات التالية امكننا ان نتساءل هل هنالك الفاظ عامية مشتركة قدر لها ان تتقارب منذ تلك العصور وقد تتعزز هذه النظرية بتساوق كثير من العادات والتقاليد في المغرب والشام لا يكفى في بلورتها ما كان البلدان يتبادلانه من علماء وتجار .

ولا ننسى ان الشام وخاصة لبنان هو منبثق اللغة اليونيقية او اليونية التي أثرت في البربرية المغربية

منذ ثلاثة آلاف من السنين والبونية عربية الاصل (1)، وقد سبقت لغة القرآن والفتح الاسلامي بالمغرب وكيفت كثيرا من المعطيات اللغوية لا سيما وان الفينيقيين الشاميين أسسوا في المغرب الاقصى عاصمة هي تشمس او ليكس قرب العرائش منذ عام 1100 قبل الميلاد اى قبل تأسيس قرطاجنة بثلاثة قرون (814 قبل الميلاد) (2).

وهناك مئات الكلمات التركية اندرجت في عامية سوريا ولبنان طوال اربعة قرون من الحكم التركي فابعدت كثيرا من المقومات اللغوية عن عراقتها العربية وقد دخل عدد قليل منها الى المغرب منذ نفس التاريخ تقريبا اى في عهد السعديين الذين كان لهم ارتباط بالباب العالي لا سيما في الميدان الحضاري (الحياة والجيش والملاحة والادارة الخ) (3).

وبالاضافة الى ذلك توجد في عامية اهل الشام كلمات من اصل عربي تحرفت بالاستعمال التركي على أن الفارسية وسمت لهجة السوريين واللبنانيين منذ القرن السادس قبل الميلاد ثم تعزز هذا التأثير بواسطة التركية التي اقتبست آلاف الكلمات من الفارسية ، ويرى بعض المختصين في اللغات السامية ان الفارسية تحتوي في معجمها على نحو ستين في المائة من المصطلحات العربية وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل في المعجم العربي لا بكيفية مباشرة لان المغرب ظل في منحى عن التأثيرات الفارسية وعن الهيلينيستية قبلها Réllenisme ؛ ومن امثلة المشترك الفارسي في اللهجتين المغربية والشامية (4) ، بابا (اى الاب في لغة الاطفال) وبازار (سوق) وبازاري وباس (لثم) وشاويش (شاوش) وخردة (اصلها العربي خرثي) ، وخواجه او خواجي (غني) ودرويش (فقير) وزنزانة (سجن ضيق) وزيره (جعله في مكان ضيق) وسالف (خصلة شعر متدلية على الصدغ) وشبر اى أشبار (وهو حبل رقيق جدا) وشنطه (حقيبة صغيرة) وشيت (نسيج قطني فيه رسوم والوان) وصباحي (صبايحي اى جندي) وطارمة (بيت خشبي ذو قبة) وطاقية (نوع من ملابس الراس) وقيطان (خيط مفتول

---

(1) اكد الاستاذ توفيق المدني في تقويم المنصور (عام 1348 ص 72) ان الكشوف الحفرية ونقوش الحجارة اثبتت كنعانية الفينيقيين كما ابرزت ان كلامهم كان عربيا شديد الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصا بنواحي العاصمة التونسية وبجزيرة مالطة قبل ان تختلط اختلاطا فاحشا بمختلف اللغات الاوربية واهل مالطة هم بقايا العنصر الفينيقي الخالص... وقد نشر توفيق المدني (76) نص الحفرية القرطاجنية التي وجدت في البرازيل على قرب السبط خليفة الملك ويتضح منها تقارب البونيقية ولهجة شمال افريقيا مثال ذلك : حتى خبر اللون اى حتى الهسون ومعناها بالفصحى «لا يصلنا اى خبر الى هنا» .

ومثال آخر :

كي مات عصبط عبد هبلت اى عليه

بالعامية ، كيف مات عصبط العباد هبلت عليه

بالفصحى، لما مات السبط اصاب العباد الاختبال عليه

ووجود هذه الحفريات في البرازيل تدل على ان القرطاجنيين هم اول من اكتشف امريكا قبل الميلاد بـ 125 سنة .

(2) راجع كتابنا « مظاهر الحضارة المغربية » ومعطيات الحضارة المغربية (فصل : تاريخ دخول اللغة العربية الى المغرب) وكذلك تاريخ افريقيا الشمالية القديم لكزيل Gsell والعصور الغامضة للمغرب للمؤرخ كوتيي (Gauthier) .

(3) مثل باشا وبكرج (اناء معدني) وخازوق وتخزوق (التخزويق) وسنجق وطابور وطز (للاستهزاء والاستياء) وطوبجي (مدفعي وصابونجي) وجبدولي (صدرية) وجامكية (مرتب عسكري في عهد المدحدين) وخواجي (تاجر) وبابوشة (بابوج) وبازار وباشادوروبرنامج .

(4) من الالفاظ الفارسية التي دخلت الى المغرب عن طريق المعاجم العربية ، خام (مادة لم تعالجها الصناعة) او الدربكة اى الطبل (واصلها تابوراك) او الدمغة بمعنى الختم والطابع .

ويظهر ان معظم الالفاظ الدالة على الحضارة والملك والاثاث والرياش فارسية الاصل وما يتصل بالعلم والفلسفة مقتبس من اليوناني بينما استمد العرب مصطلحات النبات من النبطية والدينيات من العبرية او السريانية أما اللغة السنسكريتية او الهندية فقد اثرت في معجم العقاقير والطيوب والتوابل والاحجار الكريمة الا ان العقاد اكد (مجموعة البحوث والمحاضرات التي نشرها مؤتمر مجمع اللغة العربية ـ الدورة

من القطن او الحرير) وكخ (كخ بالمغرب اى ردىء فى لغة الاطفال) ومارستان (مستشفى المجانين) وخانة (حانة اى خمار وتطلق على احد الاحياء بالمغرب) ونيشان (وسام) ونيشن (نيش بالمغرب اى صوب القذيفة نحو الهدف) .

وقد تاثرت اللهجتان بالفرنسية نظرا للفترة التى قضاها البلدان تحت سيطرة فرنسا ، بل هناك ألفاظ مشتركة لاتينية الاصل (ايطاليا واسبانية) مثل : شتف (ستف الاشياء اى وضع بعضها فوق بعض ، ويزعم البعض بانها مقتبسة من لفظ من Stivare بواسطة التركية ، والاصح انها من صفف واصطف وكذلك صوبا من صبة الفصحى لا من (Zuppa) وظاما (لعب Dama) وصالة (Sala) وطرمبا (اى مضخة Tromba) وطرومبيطا (Treumbête) وفاتورة Fattuia وفبريكا (Fabrica) وفترينا Vetrina وفلصو (Falso) اى باطل وفورما Forma وفيزيتا (Visita) وكرنتينا اى محجر صحى (Quarantina) وكورنيطا Cornetta وكوبرطه اى ظهر انسفينة (Coperta) وكونطراباندو Contrabando وموضا (Moda)

اما اليونانية فقد دخلت هى ايضا الى سوريا ولبنان قبل الميلاد بثلاثة قرون حيث استمر الحكم اليونانى بهما مائتين وخمسين سنة قبل خضوعهما الى الرومان كما اندرجت عن طريق المترجمين السريانيين واليهود والعرب من ذاواخر الامويين بما اقحمـــوه من الفاظ دخيلة فى القاموس العلمى العربى الذى اقتبس منه حكماء المغرب ونباتيوه او عشابوه وكتب الطب والعقاقير المغربية حافلة بهذه الالفاظ التى يتردد صداها فى لغة العوام مع شىء من التحريف الا ان وجودها فى عامية أهل الشام ابلغ نظرا للاتصال المباشر خلال حقبة طويلة من تاريخ البلاد .

قيصرية : سوق كبير مسقوف فيه دكاكين Keçariya

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية على ما يقال والتى دخلت الى العامة المغربية ، ياقوت وملوخية ومصطكى ولوبيا ولجنة وكرويا وكرنب وكافور وقيطون وقيراط وقيشارة وقنطرة وقنب وقمقم وقلم وقصدير وقرنفل وقرميد وقانون وقالب وقارب وقادوس وفندق وفنار وفلس وفص وفخ وطاجن ورطل ودلفين ودرهم وتؤلول وبلغم وبجماط وبطاقة وبارود وأوقية واقليم والماس والرز .

أما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية الفاظا يقال بان منها اسطبل وبوق ودينـــار وسجل وصراط وصاقور وطرطور وقرصان وفـرن وقفة وقلنسوة وقميص وقنديل وقنطار وكوفية ومد

السادسة والعشرون عام 1959 ــ 1960) ان العربيـــةتم تطورها قبل ان تستعير من الفرس شيئا وانمـا استعارت بعد تمام الحضارة اسماء حضارية كالابريق اما النبطية والعبرية فهما فى نظره لهجتان من لهجات العرب القديمة ، والواقع ان تاثير هـــذه اللغات فى العربية شىء لا ينكر وان اثر الفارسية امتد الى شتى مظاهر الحضارة لا الى «اسماء الاعيان» وحدها وان كان قد سبق للفرس ان استمدوا قديما من الارامية والعربية وقد أخذ المغرب من الفرس عن طريـق العرب الفاظا حضارية شتى مثل الجرة والابريق والطست والطبق والقصعة والياقوت والبلور والكعك والفلفل والزنجبيل والقرفة والنرجس والنسرين والسوسن والعنبر والكافور والصندل والقرنفل والبستان والارجوان والسراويل والجبوز واللوز والميزان والمغنطيس والصك والفرسخ والزمرد والآجر والجوهر والسكر والطنبور (راجع فقه اللغة للثعالبى والمزهر للسيوطى والمخصص فى الطعوم وآلات الغناء) .

ويختلف هذا التأثير فى الاقطار العربية الاخرى ، ولعل الدخيل من الفارسية فى لغـة العراقيين يوازى الدخيل فيها من التركية خلافا لما عليه الحال فى مصرفان معظم الدخيل فيها فى لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الافرنجية ، (محمد رضى الشبيبى مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية ج. 8 ص. 131) ، ومعلوم ان ديوان العراق لم ينقل من الفارسية الى العربية الافى عهد الحجاج الذى امر بذلك كاتبه صالح ابن عبد الرحمن الذى كان يتقن اللغتين (تاريخ ابن خلدون ــ المجلد الاول ــ القسم الثانى ص 437) .

(مكيال) ومنديل وميل وقربص (مقربص Stalactite وقيصرية (I) .

وقد تعرضنا فى معجم اصول اللهجة العامية المغربية الى مصادر الاشتقاق العربية والاجنبية ودرسنا ذلك دراسة نقدية واسعة يجدر الرجوع اليها لتحقيق نسبة ما سقناه من مصطلحات .

وبينما كان التأثير الاسبانى فى اللهجة السورية واللبنانية نادرا جدا اذا به يتخذ طابعا عميقا بالنسبة للعامية المغربية نظرا للتبادل الموصول بين الاندلس والمغرب خلال الحكم الاسلامى اى طوال ثمانية قرون ثم طوال ثلاثمائة عام بعد ذلك احتل البرتغاليون والاسبان فى غضونها مراكز هامة فى شواطىء البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلنطيقى من بلاد المغرب(2).

(I) برونو (هسبريس 1949 ـ العددان الثالث والرابع) تليس وحرقوص ودرموز كما لاحظ ان اللغة الرومانية اللاتينية امدت العامية عن طريق الفصحى بالفاظ مثل مد وقصر او مباشرة بكلمات مثل الطابية وكرزية وكركور ، وذكر ان لفظ قنديل (Candi)مقتبس من اللفظ العربى (Quindid) وان الكفتة مأخوذة من التركية .

كما اعطى برونو صورة عن مروح التأثيرات الاجنبية فى العامية البحرية بالرباط وسلا فذكر انه بالاضافة الى 456 لفظ عربى يوجد 217 كلمة اسبانية و30 لاتينية يونانية و6 فرنسية و6 ايطالية و6 انجليزية وكلمة واحدة برتغالية وعشر كلمات بربرية وعشر تركية واحدى عشرة كلمة مشكوك فى مصدرها وذلك من مجموع يبلغ 753 لفظة ، ونلاحظ هنا قوة تاثير العربية الفصحى بالنسبة الى موانىء اخرى فى المغرب العربى مثل مستغانم بالجزائر ، ففى الرباط مثلا تسمى Chaloupe بالعشائرية وفى مستغانم ببوطة من Bota الاسبانية ، اما البرتغالية فقد تاثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يراسلون بالعجمية التى كانت عبارة عن برتغالية مملوءة بالالفاظ المغربية وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك Coissac Chavrelière ص 273) ...

(2) لاحظ برونو فى مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلا ان وفرة الالفاظ الاسبانية الدخيلة فى هذه المفردات تدعونا الى نسبة بعض الكلمات الى اصل يونانى لاتينى وهذا الغلط هو الذى وقع فيه سيمونى Simonet فى كتابه Glosario حيث ذكر مثلا ان الشابل Alose مستمد من اللفظ اللاتينى Sapidus

عوامل الوحدة الثقافية

عبد الفتاح الصعيدي
عضو مجمع اللغة العربية

اطلعت على التصميم الموضوع للمجلة التى عـــزم المكتب الدائم الموفق على اصدارها للتعاون على «بعث اللغة العربية وضمان تساوقها مع احدث اللغات فى العالم والتقنيات ومختلف مجالى الحضارة».

وان بدأ المكتب باستطلاع آراء المشتغلين باللغـة العربية العاملين على انهاضها ليدل دلالة واضحة على خلوص النية وصدق العزيمة والرغبة الاكيـــدة فى اختيار افضل الاعمال والتماس أقرب الطرق للوصول الى هذه الغاية الشريفة المرجوة كما انه أمـــارة من امارات التوفيق الذى بفضله تتجه الجهود الى الهدف المنشود وتسدد الخطى الى الغاية المطلوبة ، فتتبوأ الامة العربية مكانها المرموق بين ارقى الامم وتستعيد اللغة العربية العريقة موضعها الرفيع بين أوسع اللغات وأوفاها بمطالب الحضارة .

ولهذا اثـــره المحمود فى ربط البـلاد العربيـة ـ شعوبها وهيئاتها وحكوماتها وسائر افرادها ـ بروابط ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهذه هى دواعى التعاون ووسائل التآزر وأسس الوحـدة القوية الدائمة الطبيعية هـــذا الى تيسير التعليم على ابنائنا فى جميع مراحله ، فالمتعلم بلغته المعروفـــة المألوفة يرفع عن كاهله عبء تعلم اللغة الجديـدة ، ويحصر جهده فى فهم قضايا العلم والتوسع فيـــه والاحاطة بمباحثه ودقائقه .

ولما كانت اللغات الحية الاخرى قد سبقت اللغـــة العربية ـ لسبق الناطقين بها ـ فى الاحاطة بمطالب الحضارة من علوم وفنون وآداب وما يتصل بكل ذلك من عوامل التقدم والرقى بما انها كانت اداة التعبير عن ذلك كله فى حين ان اللغة العربية قد تخلفت فى هذه الميادين لتخلف الناطقين بها فيها ، لما كان الامر كذلك وجب علينا ان نبذل جهودا مضاعفة لتدارك ما فات ـ على كثرته ـ ولمواجهة الحاضر على ضخامته ولاعداد العدة للمستقبل على ما عسى ان يكون فيه من روائع الابداع وعجائب الاختراع .

وعزمنا على بذل كل جهد لتدارك الماضى ولمواجهة الحاضر وللاستعداد للمستقبل لا ينسينا ان نلتمس اقرب الطرق لنكسب الوقت ونخفف الجهد . واقرب الطرق هو التعريب الذى يتيح لنا فرصة الانتفاع بما تزخر به الحياة الآن من ألوان الحضارة التى انتهى اليها المتحضرون بعد ان بذلوا فى سبيلها ما بذلوا من تجارب مرهقة واموال كثيرة ، وجهود شاقة ووقت نفيس . واساس التعريب وضع مصطلحات عربيـــة للمصطلحات الاجنبية ، هذا هو السبيل الوحيد الى نقل العلوم والفنون وجميع ألوان الحضارة ، فاذا تم ذلك سهل التدريس والتاليف والتعريب .

ووضع المصطلحات عمل شاق واسع متشعب ولكنه ضرورة لا مفر منها ، ولا يمكن تذليل تلك الصعوبة ا لابشىء واحد ذلك هو وضع معجم للغة العربية يجمع ألفاظها مرتبة على حسب معانيها على نحو ما عمل ابن سيدة فى كتابه المخصص . فتقرأ المعجمات العربيـــة والكتب العلمية وتدون اولا فى جزازات ثم توزع تلك الالفاظ على حسب معانيها ، فكلمات الطب مثلا توضع فى عنوان الطب موزعة توزيعـا جزئيـا تفصيليا ، التشريح ـ أجزاء الجسم ـ العلاج ـ الامراض الباطنية الامراض الجلدية ...

فالباحث عن المصطلح الطبى يحصر بحثه فى مجموعة صغيرة من الالفاظ فيسهل عليه العثور على اللفظ الذى يؤدى المعنى المقصود بطريق النص والحقيقـة ـ اذا وجد ـ والا فانه يلجأ الى لفظ يؤدى المعنى عن طريق المجاز او التشبيه مثلا ويتم ذلك كله فى اقرب وقت وبأيسر جهد . وكذلك توزع كلمات القانون والتشريع

وجميع العلوم الطبيعية والرياضية والاحيائية والصيدليه والصناعية ... وكل جهد او مال او وقت يبذل فى هذا السبيل لا يعد شيئا مذكورا اذا قيس بما سيؤول اليه الامر من تسهيل وتيسير واقتصاد ، هذا الى سرعه البت فى موضوع المصطلح بالعثور على اللفظ المؤدى للمعنى بالنص والحقيقة او باللجوء الى اختيار لفظ آخر يؤدى المعنى عن طريق المجاز او الاستعارة او التشبيه مثلا . فاذا جمعت تلك الكلمات من المعجمات وكتب العلوم والفنون ووزعت على حسب معانيها توزيعا جزئيا تفصليا ووضعت تلك الالفاظ بين ايدى واضعى المصطلحات سهل عليهم العمل واسرعوا فى وضع المصطلحات ويسروا طريق نقل العلوم الى العربية وامكن التدريس والتاليف باللغة العربية وخف على ابنائنا عبء كبير كانوا يتحملونه وهو عبء تعلم لغة أجنبية قبل تعلم العلم ذاته " هذا الى انهم للغتهم اكثر فهما واثبت حفظا واسرع اداء ولهذا اثره المحمود فى كل ما يتعلمونه بلغتهم هذا الى ما هنالك من عزة وكرامة وشرف .

هذه هى عوامل الوحدة الثقافية التى هى اساس الوحدة القومية ...

عبد الفتاح الصعيدى

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ازدواجية لغة التعليم

ادريس الكتاني
استاذ بكلية الآداب بالرباط

باستثناء اقطار المغرب العربي الثلاثة ، واقطـــار الهند الصينية كمبوديا واللاووس والفييتنام الجنوبية، التي ابتليت كلها بالاستعمار الفرنسي ، لن تجد في اي جهة من العالم ، وخاصة في اوربا وامريكا شيئا اسمه «ازدواجية لغة التعليم» في مرحلـــة التعليـم الابتدائي او الثانوي ، ذلك ان هذه الازدواجيـــة لا تتعارض مع جميع قواعد التربية والتعليم العالميـــة فحسب ، بل مع جميع المبادىء والقيم الوطنية ايضا ، وقد بدات هذه المشكلة التي خلفها الاستعمار الفرنسي في اقطار معينة من مستعمراته السابقة ، عندما لم يستطع ان يتخلص نهائيا من لغة البلد القومية، واحلال لغته محلها الى الابد ، عندئذ اقر مبدأ الشركة اللغوية في تلقين التعليم ، وطبقه بالقوة في مناهج التعليـم على عموم مدارس الدولة الخاضعة لحكمه ، بيد ان توزيع المواد على اللغتين كان يختلف باختلاف البلدان المستعمرة ، واختلاف الظروف السياسية والوطنية في كل منها .

ففي المغرب ـ ولنأخذه مثلا في تحليل هـــذه المشكلة ـ كانت حصة المواد التي تلقى بالعربية ـ وهي اللغة العربية والدين ـ منذ ابتداء الحماية سنة 1912 لا تتجاوز 20 دقيقة في اليوم بجميع سنوات التعليم الابتدائي ، بينما كانت تلقى جميع المواد الاخـــرى باللغة الفرنسية ، ولم ترتفع هذه الحصة الى 50 دقيقة الا بعد 25 سنة ، اي بعد الحوادث الوطنية التي جرت سنة 1937. ويقظة الرأي العام المغربي الذي اخذ يحارب مدارس الحكومة ، ويشجع انشاء المدارس العربيـــة الحرة ، وهكذا خضع ارتفاع الحصص التي تلقى باللغة العربية الى ضغط الحركة الوطنية وتزايد قوتها ، فلم تحل نهاية سنة 1955 الدراسية التي انتهت معها الحماية ، حتى كان معدل الحصص التي تلقى باللغة العربية قد بلغ الثلث ، بينما احتفظت اللغةالفرنسية بثلثي الحصص اليومية ، وبجميع المواد العلمية التي تعتبر اساسية في الامتحانات ، ومعنى هذا ان التلميذ القوي في اللغة الفرنسية مضمون له النجاح حتى ولو كان ضعيفا في العربية ، بخلاف العكس (1).

وجاء الاستقلال ، ووضع اللغة العربية على هذا الحال من الذلة والمهانة ، وظن الناس ان هذا الوضع سينتهي بانتصار اللغة القومية في وطنها ، وتحريرها من عهد الخضوع والتبعية للغة المستعمر القديم ، وبدأ صراع خفي بين اللغة الفرنسية التي تمثل الوجود الفرنسي الذي يسعى للمحافظة على مكاسب استعماره القديم، واستغلال الاجيال التي صنعها في مدارسه لتحصين تلك المكاسب ، وتوسيع نطاقها ، وبين اللغة العربية التي لم تعد تصلح في نظر اغلب المسؤولين والموظفين المتفرنسين الا لشؤون الدين والعبادة .

وكان لا بد ان تمر ثمانية اعوام على الاستقـلال ، وعلى مماطلة الرأي العام المغربي الذي ظل يلح عبثا في تعريب التعليم والادارة ، قبل ان يعرض (مشروع اصلاح التعليم) من طرف وزارة التهذيب الوطني ، على المجلس الاعلى للتعليم في 18 اكتوبر 1962 . وهو المشروع الذي اقر (ازدواجية لغة التعليم) منذ السنة الاولى بالمدارس الابتدائية حتى الجامعة ، وعلى اساس توزيع الحصص الدراسية على اللغتين بالتساوي فيما يرجع للزمن ، 15 ساعة للعربية و15 للفرنسية في

(1) في الجزائر نظرا لاختلاف ظروفها عن المغرب، كانت اللغة العربية تلقن باللغة الفرنسية ، وبكتب مدرسية وضعت لتعليم النحو العربي باللغة الفرنسية.

الاسبوع ، ولكن مع استمرار احتكار اللغة الفرنسية لتلقين العلوم من دروس الاشياء والحساب فى الاقسام التحضيرية حتى التاريخ والجغرافية والطبيعيات والرياضيات فى الاقسام العالية ، بحيث لا يلقن بالعربية الا مواد اللغة العربية والفقه والتوحيد ، والحصص الثانوية كالرياضة البدنية ، والرسم . وبالرغم من ان معارضة هذا المشروع من لدن المجلس الاعلى للتعليم الذى هو مجرد مجلس استشارى ، فانه هو الذى تعمل وزارة التهذيب الوطنى جاهدة فى تطبيقه باسم «ازدواجية التعليم» ، هذه الازدواجية التى لن نتحدث عن اخطارها من الوجهة القومية والفكرية والدينية والاقتصادية فى هذا الحديث القصير ، وانما سنقتصر على شرح تعارضها مع جميع المبادىء التربوية وقواعد التعليم العالمية ، المعمول بها فى جميع البلاد المتحضرة .

من المعروف لدى علماء التربية والنفس ان استعدادات الطفل العادى فيما بين سن السادسة والثانية عشرة لا تجعله يحتمل دراسة وتعلم لغتين فى هذه المرحلة مع الحصول على نتائج حسنة فيها ونظرا لاستحالة ذلك بالنسبة لعموم الاطفال العاديين نجد ان جميع انظمة التعليم العالمية متفقة على :

1 ـ تخصيص مرحلة التعليم الابتدائى بتعليم اللغة القومية وحدها .

2 ـ تاخير تعليم اللغات الاجنبية الى مرحلة التعليم الثانوى حيث تدرس كلغات فقط .

ولهذا السبب العلمى نجد ان القول بفكرة تعليم المواد الدراسية بلغتين فى آن واحد ، سواء فى المرحلة الابتدائية او الثانوية ، لم تاخذ به ولم تعمل به اية دولة حرة فى العالم ، لتناقضه مع الحقائق العلمية التى اشرنا اليها . ولو كان من المعقول والمقبول تربويا ان يتعلم ابناء امة لغتين فى آن واحد ، وفى المرحلة الابتدائية ، ويبلغوا فى اتقانهما نفس الدرجة، ونفس المستوى ، لكانت جميع الدول قد سارعت قبلنا الى العمل بهذا المبدأ ، مع ان أية دولة لم تاخذ به ، بل ان فرنسا نفسها التى فرضته علينا ، لم تعمل هى به ، فلم تستعمل الانجليزية مثلا ـ وهى اكثر اللغات العالمية انتشارا ـ كلغة ثانية فى مدارسها الابتدائية والثانوية . ليس هذا فقط ، بل ان الدول ذات القوميات واللغات الرسمية المتعددة لم تعمل به ايضا ، مع انها كانت اولى الدول باستعمالها ، ـ لو كان ممكنا من الوجهة التربوية ـ لصالحها الوطنى ، قبل ان يكون لصالح لغة او دولة اجنبية عنها .

ولنشرح هذه الحقيقة بالنسبة للدول التالية على سبيل المثال :

أ) فى يوغوسلافيا ست جمهوريات واربع لغات رسمية هى: السربية والكرواتية ـ والفرق بينهما قليل ـ ويتكلم كلا منهما ثلث السكان ، والماسيدوانية والسلوفينية، ويتكلم كلا منهما سدس السكان ، ورغم ان هذه اللغات ليست عالمية ولا مشهورة ، فان الاتحاد اليوغوسلافى لا يعرف شيئا اسمه «ازدواجية لغة التعليم» . ففى الجمهوريات او الاقاليم التى يتكلم سكانها السربية او الكرواتية يعطى التعليم بهذه اللغة القومية من التعليم الابتدائى حتى الجامعى، ولا تدرس اللغة الوطنية الثانية الا كلغة اختيارية ، وابتداء من التعليم الثانوى ، وفى الاقاليم التى يتكلم سكانها الماسيدوانية او السلوفينية يعطى التعليم ايضا بهذه اللغة القومية ، لكن نظرا لقلة الناطقين بهاتين اللغتين بالنسبة لمجموع سكان البلاد ، فان تعلم احدى اللغتين الوطنيتين الاوليين يشرع فيه ابتداء من السنة الثانية الابتدائية كلغة اجنبية ـ اى عن لغة التخاطب والتعليم المحلية ـ وذلك لهدف قومى محدد ، وهو ان يتمكن التلميذ فى وقت مبكر من التفاهم مع جمهور كبير من مواطنيه .

ب) وفى سويسرا 22 ولاية ، وثلاث لغات رسمية ـ هناك لغة رابعة ضعيفة ـ هى الالمانية والفرنسية والايطالية ، ومع ذلك فان لغة التعليم فى كل ولاية من الابتدائى حتى الجامعى هى اللغة القومية لسكان الولاية ، ولا تدرس اللغات الوطنية الاخرى الا فى مرحلة التعليم الثانوى كاللغات الاجنبية ، فلو كانت فكرة «ازدواجية لغة التعليم» او حتى ثلاثيته مقبولة وممكنة من الوجهة التربوية ، لكانت سويسرا ، وامثالها من الدول ذات اللغات الوطنية المتعددة، اولى من يأخذ بها لتحقيق وحدة الفكر الوطنية ، من غير ان تتهم بأنها تريد فرض لغة اجنبية على مواطنيها لخدمة مصالح دولة استعمارية ، ومع ذلك فليس فى سويسرا احد من رجال الدولة او التعليم او الفكر يتصور امكانية العمل بمثل هذه الازدواجية او يطالب بها .

ج) وفى افغانستان 14 ولاية ، ولغتان قوميتان رسميتان : البشتو ويتكلمها 8 ولايات ، والفارسية